H A M O O D A L - S A B R I

أرق

حمود الصبري

منشورات الواحة

أرق

حمود الصبري

© جميـع الحقوق محفوظة لدى منشورات الواحة.

عنوان الكتاب: أرق. تأليف: حمود الصبري

نوع الكتاب: قصة قصيرة. عدد الصفحات: 27صفحة.

الناشر الإلكتروني: منشورات الواحة.

تدقيق لغوي: أ/بليغ الطيار. (instagram:baleeg7)

لوحة الغلاف بريشة: محمد عمير. (instagram:m.alhassni187)

إشراف عام: فهمي عبدالمعز.

لمتابعة جديد منشورات الواحة:

واتس: 00967730542080

إنستقرام: manshurat_alwaha تيليجرام: 9dWSGDis.gd/

لمتابعة الكاتب:

إنستقرام: hamood771mod فيسبوك: hamood alsabri

يسمح بنشر محتوى هذا الكتاب بأي شكل من أشكال النشر الإلكتروني فقط مع تضمين وسم: (#أرق_حمود_الصبري).

ولا يجوز اقتصاص أي جزء من هذا الكتاب بهدف إهدار حقوق الملكية الفكرية أو إعادة إنتاجه بشكل مادي أو معنوي إلا بموافقة المؤلف.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي منشورات الواحة

السّاعة

الآن السّادسة صباحاً، يوم 3يونيو من سنة 2150 من ميلاد المسيح، 130 "ب.ث".

"ب.ث" تعني ما بعد الثّورة الكبيرة وقيام مملكة الجمهوريّات المتّحدة، اسمٌ أحمق لدولةٍ حمقاء!

هل الثّوراتُ تبني دوَلاً كما يزعمون أم أنها تهدِم ما لم تبنهِ سابقتها؟

نهضَ الكاتبُ من فِراشه، هذا يومه الرّابع في مُصارعة الأرق، لم يكن همّه الوحيد هو الأرق، فقد باتَ لا يستطيع التفكير.

لم تعُد تأتيه الأفكار كيفما كانت، لم يعد يكتب كما كان من قبل. فقد اقتصرَت كِتابته في الأيام الخوالي على مذكّراته اليومية.

"ما الذي أصاب عقلي، لمَ لمْ تعُد تراوِدني الأفكار؟ هل الجزء المتخصّص بالتفكير قد طاله العطَب؟ ما عادَت

تأتيني أيّة أفكار من أيّ نوع، جلّ ما أحتاجه الآن هو فِكرة من أي نوع".

نهضَ من فِراشه وكعادته أعدّ لنفسه كُوباً من القهوة.

"اخرُج أيها الكاتب -قالها عن نفسه بطريقه تهكّمية- لعلّك ترى فكرة، أي فكرة، حتى تلك التي تتعلّق بالنساء والحب".

بعد تصفّحه للجريدة الوحيدة الصادرة عن وزارة المعارف، أيقنَ أنه ليس هناك انتحار أبْطأ من جُرعة أخبارٍ صباحيّة كل يوم.

بعدَ أن تناول غداءه، وأكمل قراءة الأخبار خرج من البيت طَلباً لفكرة.

أحيانا نخرُج من البيت وفي رأسنا العديد من الأفكار التي تتولى قيادتنا فمتى انقطعت توقفنا. لكنه لا يملك الأفكار التي تقوده، مشى الكاتب مُتجهاً نحو تمثال قيم

الثورة ومن ثم انعطَف شمالاً، واصل سيره بخطى ثابتة كمن يملكُ فكرةً عن أين سيذهب.

وهناك وأمام بوابة المتَنَزَّه رآه لأول مرّة.

***

اليوم الخامس للأرق اللّعين، متى أنام؟" وتذكّر ما قاله أيمن العتوم عن النوم:

"النّوم نِعمة، النّوم نِقمة، النوم قاتل إذا أقبل، وقاتِل إذا أدبر، وقاتل إذا رضي وقاتل إذا سخِط، محبوبةٌ غير مُطيعة وخليلةٌ غير واصلة، ومُشتهاةٌ مُتمنّعة وقريبة بعيدة".

لم يكن يعلم سبب أَرَقِه، أيكون ذو هم؟، لكن الهموم مثلها مثل أي شيء خلقه الله... تنتهي، فلماذا لا يزوره النوم بعد ذلك؟ لكن هل الهموم تنتهي؟؟

قام من فراشه وأعدّ قهوته ككل يوم.

"سأخرج اليوم، نعم سأخرج ولن أعود إلى البيت إلّا بفكرة" ولزم الوعد الذي قطعَه لنفسِه

الأفكار عصيّة الترويض، مزاجيّة الطّباع، سايكوية الشخصية، لا تفهم بالزمان ولا المكان. فكم مرّة تأتيك فكرة وأنت بدورة المياه، أو على كرسي الحلّاق وما أن

تنتهي مما لديك حتى تختفي، تتلاشى من بين فُصوص عقلك وجنَبات ذِهنك.

خرج الكاتب لا يقصد مكاناً ولا شخصاً، يقصد فكرة.

مرّ من "كِشْكٍ" يبيع جريدة المعارف وبعض القرطاسية

كان يقصده لغرض معين.

"مرحبا أيها الكاتب، نزل العددُ الذي كتبتَ به مقالتك".

"أي مقالة؟".

تذكّر الكاتب أنه أعدّ مقالةً عن أدب ما قبل الثورة، هكذا عنونتْهُ الجريدة، لكن الكاتب أعدّ مقالته بعنوان: "الأدب بين ماضٍ مزدهر وحاضرٍ مُضمَحل".

"يبدو أنني سأبيتُ عمّا قريب في الزنزانة!"، تصفّح ما كتبه، لم يتركوا من المقال الذي كتبه سوى مدحَه للثّورة وقائدها وما كتبه من ذمّ للأدب القديم فقط.

لعنَ الدّولة والثّورة والجريدة وصاحب الجريدة وهمّ بأنّ يلعن نفسه عندما رآه لثاني مرة.

كان يرتدي لباساً متواضعا لكنّه مُلفت بشكلً ما، وجهُه ذو نَفحة صحراوية، كأهل البدْو من الشاشات السينما، يرتدي نظّارة لا يدري أهي زادته نفحَة من الحكمة أم أنه زادها.

تقدّم نحوَه الكاتب يشدو منه فكرة.

"يبدو أن مقصدي عنده" أردف " سأقترب علّه يُخرج من جيب مِعطفِه قُصاصة فِكرة"

***

اقتربَ الكاتب من شخصِه، وما إن دخل في مجال سمعِه حتى أدرك معنى تلك الهمهمات" إنها قصيدة قيدي من الصمت

إن صافحت يدُهم أيدي صهاينةٍ

ردّ الكاتب بالبيت الذي يليه

حسبي من الفخر أني ما مددْتُ يدي

أردف الشخص:

بيعوا إذن واشتروا ما شئتمُ بلداً

ردّ الكاتبُ مرّة أخرى:

فإنني لا أبيعُ اللهَ في بلدِي

كانت تلك القصيدة مما يحبه الكاتب من قصائد الشاعر أيمن العتوم، اقترب الكاتب من شخصه.

أي قصيدة تلك التي قرأتَها؟ سأله الكاتب فرد الآخر بسرعة كمن يقرأ تقريراً للقائد:

"قصيدة قيدي من الصمت، من ديوان 'نبوءات الجائعين' للشّاعر العتوم كتبها عندما كان في سجن..."

"حسناً، توقف الآن"

"لقد رأيتك من قبل لكن لا أدري أين... من أنت؟"

"يبدو أنك رأيتني في إحدى اللقاءات الصحفية"

"لقاء صحفي... كيف يمكنني أن أجدك داخل الورق!"

"مَجازٌ يا صديقي، إنه مجاز، يعني رأيت مقالا يتحدّث عني". سكَت الكاتب بعدها. فقد تذكر أيام القائد السّابق للدّولة حيث كانت الأمور أهون من الآن بكثير.

"مجاز، نعم نعم، فهمت الآن"

"حقاً" وأردف الكاتب: "ومن أنت؟"

"لكنك لم تُجِب عن هذا السؤال عندما طرحتُه عليك فلذلك لن أجيب عنه أنا أيضاً"

"فلنعقِد اتفاقاً، أُخبرُك بمن أكون وتُخبرني بمن تكون"

"لا أريد ذلك"

"اسمي..." عندها وضع الشّخص يديه على أذنيه وظلّ يصيح: "لا أريد، لا أريد"

"حسناً حسناً، لا تريد، توقّف الآن" صاحَ الكاتبُ بعد أن أزعجَه صُراخ الشّخص بلا أُريد

تفحّص الشّخص الكاتب بعينيه،

"ما الذي تعمل الآن؟" سأله الكاتب

"أجمع الأوراق"

"أقصد لماذا تنظر إليّ هكذا كمن يحمل متفجّرات داخل مِعطَفه؟"

"متفجّرات! لا لا، أنا لا أحبّ المتفجرات" وركض الشخص بعيداً عن الكاتب

"لحظة لحظة، كانت دُعابة لا غير"

"دُعابة؟! نعم نعم، وما هي الدُّعابة؟"

"الدعابة هي الد...، هي ذلك الكلام الذي يُقال لغرض إثارة الضّحك" تلافى الكاتب تفسير الدّعابة بأنها الدّعابة حتى لا يقَع بموقف ذاك الشّخص الذي فسّر الماء بأنه الماء!

"نعم نعم، يبدو أنني فهمتُ ما تقصِد" هزّ الشّخص رأسه كطفل أُخبر بسرٍّ من أسرار الكبار"

"أرى ذلك"

"لنعد إلى أيمن العتوم وأشعاره" عندها وقف الشّخص وتلفَّت حوله

"أيمن العتوم؟ لكني لا أعلم أين بيته!"

"أقصد..." توقّف الكاتب عن الكلامِ بحثاً عن كلمة لا تحمل معنَين في ذاتها، للكلمة سحرٌ خاص، فهي كالسّم ذو العِطر أو كالزهرة ذات الألوان ما أن اقتربت منها حتى تخدعك بمَكْرها.

تابع الكاتب الكلام: "ما أقصده هو أن نتحدّث عن الشّعر والشعراء" وأكمل: "من هم الشعراء الذين تحبّ أن تقرأ لهم؟"

بدا الشّخص بسرد قائمة من الشّعراء" امرءَ القيس، زهير بن أبي سُلمى، عمرو بن كلثوم، النّابغة الذبياني، البُحتري، أبا العلاء المعرّي، المتنبي، أحمد شوقي، نازك الملائكة، عبدالله البردُّوني"

"حسناً توقف، أتريد سردَ جميع شعراء العصر القديم!"

"عذراً"

"لماذا تعتذر... لا عليك، لا تهتم بي، قلت المتنبي؟ اقرأ لنا مما تحفَظ له"

" أُغالِبُ فيكَ الشّوْقَ وَالشوْقُ أغلَبُ وَأعجبُ من ذا الهجرِ وَالوَصْلُ أعجبُ أمَا تَغْلَطُ الأيّامُ فيّ بأنْ أرَى بَغيضاً تُنَائي أوْ حَبيباً تُقَرّبُ"

"توقف توقف، لو سمعكَ المتنبي كيف تقرأ شعرَه لقام من قبرِه يبحث عنك!"

"شكراً لك"

"لكني لم أمْدحْ انسَ الموضوع" عدّل الكاتب من جَلسَته" الشعر يا صديقي لا يُقرأ هكذا"

"وكيف يُقرأ إذن؟"

"لا أدري.... يُقرأ بتَأنٍّ، كحلوى، تذوّقها ببطء لتسمَح للسانك بالتعرّف على فَحواها"

"وكيف ذلك؟"

"امم هكذا

أُغالِبُ فيكَ الشّوْقَ وَالشوْقُ أغلَبُ

وَأعجبُ من ذا الهجرِ وَالوَصْلُ أعجبُ

أمَا تَغْلَطُ الأيّامُ فيّ بأنْ أرَى

بَغيضاً تُنَائي أوْ حَبيباً تُقَرّبُ" هزّ الشّخصُ رأسه

"نعم نعم هكذا، حسناً"

***

حتى أطول الليالي يوجد لديها صباح، هذا ما كان يعرفه الكاتب، اليوم السادس للأرق، لكن الشي الجميل أنه اشتمّ فوح فِكرة اليوم، يعلم يقينا من أين أتت الفكرة بعد غيابها.

"أسرِع أيها الكاتب -حدّث نفسه- أسرِع أسرِع، فصديقك قد يفوت عليك" أعدّ قهوته المعتادة لكنه اليوم تخلى عن جُرعته المخدّرة من الأخبار الصّباحيّة "ليس هناك وقت لترّهات وتفاهات القائد اليوم، نظراً لما تقتضيه المصلحة العامة ومبادئ الثورة قرّرنا إعفاء كاتبنا من قراءة الأخبار لهذا الصباح فقط" قالها بنبرة القائد متهكّماً عليه!

"آه أنت هنا، كيف الحال يا صديقي؟"

"بخير، شكراً لُطفاً"

"شكراً لُطفاً؟!" تَمتَمَ الكاتب، ثم تَنحنَح واستقام بجَلسَته

"نعم يا صديقي عن ماذا سنتحدّث اليوم"

***

الفِكرة تأتي على مراحل تماماً ككل شيء. تبدأ باهِتة وباردة مَشتّتة المَلامح، ثم تكبر وتكبر حتى تظن أنها جاهزة للخروج للواقع وفجأة تخبُت كنارٍ التهمَت كل الحطَب ولمْ تُبقِي إلا الرّماد. فإن كانت جديرة فإنها تولَد من رمادها كالعنقاء بقوّة والا فستظل تحت الرماد.

في العاشر من يونيو من عام 2150، خرج الكاتب تحت شمس الظهيرة متجهاً إلى صديقه، توقّف لبُرهة متأملاً منظر الطابور على المخبز.

(ما أكثر الطوابير في هذا البلد، صرنا البلد الأول في عدد الطوابير، لا لا إنه طابور واحد ممتدّ من طرف البلد إلى الطرف المقابل. نعم نعم، إنه طابور واحد اصطفّ عليه الشعب، طوابيرٌ تحوي بداخلها مجتمعاً بذاته فهناك تقام الصداقات وتنتهي وتتأجّج عند العاشقين وتخبت وغيرها) بعدها تحرّك الكاتب بخطًى ثابته وعند مُنعطَف السّوق

الكبير حيث كانت تقبع المكتبة قبل أن تطالها يد القائد الجديد.

هناك كعادته رآه للمرة الألف، لم يعد الكاتب يحسُب عدد المرّات برغم من قلّتها إلا أنها كثيرة للكاتب.

"مرحباً يا صديقي الجديد، كن بخير، حسناً، اليوم سنتحرّك من هذا المكان، نعم نعم، سنذهب اليوم إلى بيتي"

"بيتك؟ -حرّك الشّخص رأسه مّرتين- حسناً هيا"

تحرّكا متجهَين نحو البيت.

"ها قد وصلنا، ماذا تشرب، قهوة؟ شاي؟"

"مياه غازية" ظلّ يُكررها بفرَح بعد أن وافق الكاتب على إعطائه مياه غازية.

"تفضل يا صديقي" بعد أن أنهى الشّخص مياهَه الغازيّة ظل ينظر إلى ما خلف رأس الكاتب

"ماذا تنظر...آه" قال الأخيرة بعد أن أدار رأسه نحو المكان. "إنها ثروَتي!"

"إنها مكتبة" صحّح له الشّخص الكلمة، ثم قام نحوها بقداسة تعجّب منها الكاتب، كان يظنّ أنه الشّخص الوحيد الذي يرى الكتاب بقداسة مُفرطة فلم يكن ليدَع أحدا يلمِسُها، بل لم يكن يسمَح لنفسه بشطبٍ أو إضافةٍ أو تعليقٍ على غلاف الكتاب عدا اسمه لتأكيد ملكيّته على الكتاب!

"هل أعجبتك مكتبتي؟"

"دستويفسكي، تولستوي، تشيخوف، ماركيز، محفوظ، يوسا، زفايغ، السنعوسيّ، العتوم..."

ضحك الكاتب وقال: "يبدو أنها أعجبتك"

"لا، لم تُعجبني"

"لم تعجب... لماذا؟"

"قرأت كل ما هو موجود في مكتبتك"

"قرأتها كلها، لكن أين؟"

"في المكتبة"

"المكتبة لكن"

"المكتبة المكان الجغرافي الذي تأخذ منه معلومات كثيرة جداً من هناك، أي شيء يمكنك أن تجده هناك نائماً"

"نائماً؟ نعم! وها هي المكتبة قد نامت" شرَدَ الكاتب ببصره فقد تذكّر أيام ما كان يسكن في مكتبة، ليس غريباً عليه فقد أُولِع بالكتب حدّ العشق بها.

كان يتلقى اللوم من عائلته بسبب معشوقاته "اخرُج من قوقَعتك يا صبيّ، العالمُ مزدحمٌ كَمكتَبتك، الخارج وحده هي المكتبة الجديرة بأن تنام فيها" وعندها يُخفض الكاتب رأسه ويتذكر مواساته لنفسه "كل هذا الازدحام لا

يعني شيئاً، كل تلك الوجوه لا تهمني، أريد فقط ان أملأ مكتبتي بالكتب"

"أين الحمام؟" عاد الكاتب لحاضِره "هناك بزاوية الممرّ"

إنّ الذين يقرؤون الكُتب يعرفون ممرّات الحياة كيف تبدو، كل القرّاء يُدركون الأمور في أدقّ تفاصيلها، وحدهم القُرّاء يعرفون كيف يَنضُجون، وينضُج كل شيء من حولهم، ومن لا يقرأ الكتب كمن لم يتعلّم القِراءة والكِتابة.

***

"قشّة النّعاس هي كل ما يلزمني" تذمّر الكاتب وهو ممدّد، صار لا يعدّ الأيام التي قضاها بلا نوم. قام من فراشه وتوجّه إلى الحمّام وهناك رأى صورته في المرآة، شعرُ الذَّقَن قد طال. وتحت جَفنَيه سَواد.

خرجَ الكاتبُ من الحَمّام دون أن يفعل شيئا، ارتدى ما وصلَت إليه يداه ثم أخذَ القِرطاسيّة وتوجّه إلى صديقِه.

رآه كعادته في الحديقة العامّة، يتسلّى بما في يديه من أوراق وحشائش.

"مرحبا يا صديقي الصّغير صاحب الثّلاثين عاماً"

"ثلاثون وأربعة أشهر و..." تأمل ساعته "وثماني ساعات"

رفعَ الكاتب يديه دلَالة الاستسلام وقلدّه صديقُه.

"نعم ماذا لدينا اليوم؟"

"لدينا اليوم 'كِيسُ نايلون' ممتلئ بأوراق الشّجر فقط"

"وقرطاسيّتي" أرى الكاتب صديقَه ما بيدِه

"وقرطاسيّتك، نَسيتْ، المعذرة!"

من قال أن الإنسان بعمره مخطئ، الإنسان لا يُقاس بأي شيء من هذه المعايير كالمال والعمر والجاه أو اللون. الإنسان يُقاس بالإنسانية ولا شيء آخر. لا شيء.

"ما الذي يحدث يا هذا؟"

"تحرّك معنا يا سيّدي"

"لا تدعْني أبدأ بسيّدك يا هذا... اتركني!" صاحَ الكاتب محاولاً الفَكَاك من أيدي الجُنديّين اللّذين أمسكَا به.

"أمسِكَا به جيداً بينما أُحضّر عقّاراً يهدئُ من هيَجانه"

أمسكَ الجنديّان بالكاتب بخشونة ليُطلِق صيحةَ ألم، وبعد أن حقنَه الطبيبُ بمَصلٍ مخدّر هدأَ وبدأ يتلفّظ ب: "اتركوني"، "أين صديقي؟"، أين أخي؟"، "أين أنا؟"،

"ما تشخيصك الأوليّ حضرة الدكتور؟"

"يبدو أنه بدأ يختلقُ أشياءً لا وجود لها بسبب الأرَق الذي أصابَه"

"أليس هذا الكاتب هو الذي كتبَ مَقالاً يمتدِح فيه أدب ما بعد الثورة ويذُمّ ما قبلها؟"

"هو بعينه، شُوهِد عدّة مرات في الحديقة العامة يتحدّث إلى شخصٍ آخر يدعوه بصديقي"

"عن ماذا تحدّثوا؟"

"عن أدب ما قبل الثورة"

"قل أنك تمزَح!"

"للأسف نعم، سمِعَه أحد المارّة يتحدّث عن دوستويفسكي وكافكا فقام بالوشاية به" تابع الطبيب المكلّف بحالة الكاتب "سأضع له تقريرا يخفّف من عقوبته بسبب كتابته المدحَ للثّورة والقائد"

"خيراً تفعل!"

***

"يظنّون أنني مجنون، هه حمقى! لا يعلمون بأنني العاقل الوحيد بين المجانين، ما جعلني عاقلاً هو الكتاب، الكتب دواء الجُنون، نعم الكتب دواء.

دواءٌ صامت فالشيء الذي لا يمكن التعبير عنه لا يمكن إدراكه إلا بالصّمت، وليس هناك من هو أخرس من الكتاب. إننا نتكرّر بطريقة أو بأخرى، وهذا ما يدفعنا إلى التّشبّث بالأدب، وذلك لأنّ الأدب يُعيد روايتَنا بطريقة مختلفة، ويحكي شعورنا بصوت أحنّ، وإننا حين نقرأ، نقرأ الأشياء، العوالم، الوجود، والآخرين مباشرة من السّطور، بينما نقاؤنا نحن من بينها.

لكن إذا زال العدل فلا شكّ أنّ النسيج العظيم الهائل للمجتمع البشريّ. سيتفتّت إلى ذرّات في لحظة واحدة"

رأيته مرّة أخيرة، أقصد صديقي. كان مُبعثر الثّياب كحال عقلي الآن.

"لا تدعهم يُغيّبونني في عَتَمَةِ عقلِك، دعني أمام ناظريك، ارسُم صورتي على جِفن عينك الداخلي، حتى تراني كلما اغمضتَ عينيك يائساً"

"لكن كيف دخلتَ إلى هنا، الحِراسة مشدّدة عليّ؟"

"لقد رافقتكَ عندما أخذوك من الحَديقة"

"كيف؟"

"كنتُ هنا دائماً" وأشارَ بيدِه إلى رأسي!

تمّت

2021.12.30م

اليمن-إب

أرق

اليوم الخامس للأرق اللّعين، متى أنام؟" وتذكّر ما قاله أيمن العتوم عن النوم:

"النّوم نِعمة، النّوم نِقمة، النوم قاتل إذا أقبل، وقاتِل إذا أدبر، وقاتل إذا رضي وقاتل إذا سخط، محبوبةٌ غير مُطيعة وخليلةٌ غير واصلة، ومُشتهاةٌ مُتمنّعة وقريبة بعيدة".

لم يكن يعلم سبب أَرَقِه، أيكون ذو هم؟، لكن الهموم مثلها مثل أي شيء خلقه الله... تنتهي، فلماذا لا يزوره النوم بعد ذلك؟ لكن هل الهموم تنتهي؟؟

منشورات الواحة